# كلمة في معاني الحجّ وأسراره

**د. عمر بافولولو** | المكلف بتسيير مديرية الثقافة الإسلامية بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف

إنَّ الحديث عن الحج إلى بيت اللّه الحرام من كلّ فجّ عميق، وعلى كل ضامر، ليس حديثا عن رحلة لأداء مناسك الحج فحسب، بل هو حديث عن رحلة إيمانية لها تشريعاتها الفقهية، وقيمها الاجتماعية، وآثارها النفسية، وأبعادها الحضارية..

ولقد شرعَ اللّه العبادات والشعائر لحكم جليلة، ولغايات نبيلة؛ فهي تزكي النفوس، وتنقي القلوب، وتقرب العباد من الرحمان، طمعا في جنة الرضوان. وعبادة الحج من العبادات العظيمة؛ فللحج حكمٌ ومعان وأسرار ينبغي للحاج أن يمعن النظر فيها، وأن يستشعرها وهو يؤدي هذه الفريضة؛ حتى يحقق الحج مقصوده ويؤتي ثماره. قال اللّه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

والحج يربي العبد على معاني العبودية والاستسلام والانقياد لشرع اللّه؛ فهذا سيدنا **عمر بن الخطاب** (رضي اللّه عنه) يخاطب الحجر عندما أراد تقبيله، قائلا: "واللّه إنّي لأعلم أنّك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسول اللّه ﷺ يقبلك ما قبلتك".

وفي الحج يستعيد المسلم ذكريات أسلافه من الأنبياء والعلماء والعباد والصالحين، الذين أمُّوا البيت المبارك، ووطئت أقدامهم ذلك المكان الطاهر؛ فتشعره بأهمية السير على منهجهم، وتقفي خطاهم.. إلى غير ذلك من المعاني الرفيعة والمنافع العظيمة، التي تجل عن الحصر والاستقصاء، ولذلك ورد ذكرها في الآية على جهة التنكير والإبهام؛ ممّا يدل على كثرتها وتنوعها، فقال سبحانه: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ..﴾.

لقد بزغ فجر الرسالة المحمدية في جزيرة العرب فحوّل أشتاتًا من القبائل المتصارعة إلى "أمة"، إلى "أمة حيّة"، "أمة متحركة"، ثم ما لبثت هذه الحركة الشاملة أن أنتجت حضارة إنسانية راقية، بل حتى في الأصقاع النائية عن مركز الخلافة ظهر الفارابي والخوارزمي والبيروني وابن سينا.. ولا شكّ أن التحدي الأكبر الذي يواجه العالم الإسلامي هو التخلف الحضاري، والتحرك الحضاري يتطلب أمّة مفعمة بالتفاؤل والخير والنشاط واستشراف المستقبل.. يتطلب أمة حيّة بدينها وقيمها..

ولعلَّ جزءًا كبيرًا من هذا الدور ينهض به الحج؛ حيث أن فريضة الحج تمهّد لحركة حضاريّة في الأمة؛ لأن الحج يوفر بيئة للتحرر من الذات الفردية والقومية والإقليمية والعشيرية والطائفية.. ليجعل الإنسان المسلم جزءًا من الأمة الإسلامية بتاريخها وعظمتها، وبآمالها وآلامها..

والحج تربية للأمة على الحركة الإيجابية الفاعلة، ولعل فريضة الحج أكثر فرائض اللّه احتفالا بالحركة من طواف وسعي ورمي وإفاضة.. قال اللّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

لقد عطش **إسماعيل**، فسعت **هاجر** بين الصفا والمروة وركضت، ولم ترد أن تعود حتى تحصل على بغيتها، فكررت سعيها سبع مرات، وكانت نتيجة سعيها أن انفجرت زمزم لتتحول إلى ينبوع حياة يسقي العطشى على مرّ التاريخ.

وهذا العطش له مفهوم حضاري كبير، فهو وراء كل تطور في تاريخ البشرية، وما لم يكن هناك عطش فلا تجد سعيًا، وما لم يوجد السعي لا يتحقق الانفجار المعرفي ولا الرواء الحضاري..

ولقد أجمع العلماء على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم؛ فهو اليوم الذي يجتمع فيه كل الحجيج في مكان واحد، وفي وقت واحد؛ وكأن المقصود هو اجتماع ممثلي الأمـــة من كل جنس، ولون، ومن كل أرض وصقع، وكأنه مؤتمر سنوي للتعايش والتسامح والتراحم.. وتطوف الأمة المسلمة حول نفس البيت الذي وضع قواعده إبراهيم (عليه السَّلام)، وتسعى وتهرول على نفس طريق المرأة الصالحة **هاجر**، وتضحي استشعارًا لتضحية **إسماعيل**؛ وعندما يتأمل الحاج أنه قد كُتب عـلـيه السعي على النهج نفسه وبالخطوات التي قامت بها أم إسماعيل (عليهما السلام) نرى أن اللّه (عز وجل) يريد أن يذكّر كل مسلم، أن هـــذه الأمة واحدة؛ لأنها تملك كل مقومات هذه الوحدة، وأنها تتجذر في التاريخ عمقاً يربطها بأبي البشر آدم، وأبي الأنبياء إبراهيم (عليهما السلام)، وأنـهـا كذلك تتجذر في التاريخ لتضم كل الأمم وكل أجناس الأرض؛ فهي أمة واحدة ورسالتها واحدة؛ وبذلك تواصل الأمة المسلمة مسيرة التوحيد التاريخية العريقة بكل ما تتطلبه المسيرة من صبر وإخلاص وتضحية ووعي وإحسان..

إذن لا بد من السعي والجهد من أجل التمحيص والتمييز، قال اللّه تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

وإن من معاني الحج وأسراره تعويد النفس على انتظار الفرج؛ فالشدة لا تطول، وإن بعد الكرب يأتي الفرج، وإن بعد العسر يأتي اليسر..

ومن أسرار الحج ومقاصده أيضا تربية نفوس المؤمنين والمؤمنات على معاني الخير ومكارم الأخلاق؛ إذ يتدرب الحاج على الصبر والتحمّل، والصفح والعفو، والنفقة والإحسان.. لينال الجائزة التي بشر بها المصطفى ﷺ في قوله: {مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ}.

كما أن التأكيد على مبدأ المساواة من أسرار الحج وغاياته، قال رسول اللّه ﷺ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى}.

وبناء على أن القول لمن أحسن أحسنت من صميم ديننا، ومن أصيل قيمنا، فإننا ننوه بالجهود الضخمة والنوعية التي تقوم بها المملكة العربية السعودية ليتم التيسير على حجاج بيت اللّه الحرام، وتوفير الراحة والأمن والأمان لضيوف الرحمان، وتقديم خدمات ذات جودة عالية للحجاج والمعتمرين؛ لتصبح عبادة الحج، ورحلة العُمرة، ذكريات لها عبق أصيل في تذكر الشعائر والمشاعر.

كما نشيد بالمساعي الجبارة الواضحة للدولة الجزائرية من خلال مختلف وزارات الدولة ومؤسساتها، ونخص بالذكر وزارة الشؤون الدينية والأوقاف التي تسعى دوما من خلال الديوان الوطني للحج والعمرة إلى تعزيز السلوكيات الإيجابية لدى الحجاج الجزائريين؛ كاحترام المكان والمناسبة والإنسان، واحترام الأنظمة، وقد بذل الديوان جهودا متميزة عبر مضامينه موظفا مختلف التقنيات الحديثة؛ لتنمية إحساس الحاج والمعتمر بمسؤوليته، واستشعار دوره الإنساني المتحضر، كما سخر إمكاناته وطاقاته البشرية والمادية لترقية خدمة الحجيج؛ فتعتبر البوابة الإلكترونية الجزائرية مثلا عصرنة عملية، وتطبيقا فعّالا، يعمل الديوان الوطني للحج والعمرة من خلاله على الارتقاء بمستوى تنظيم مجريات الحج وتسييره.

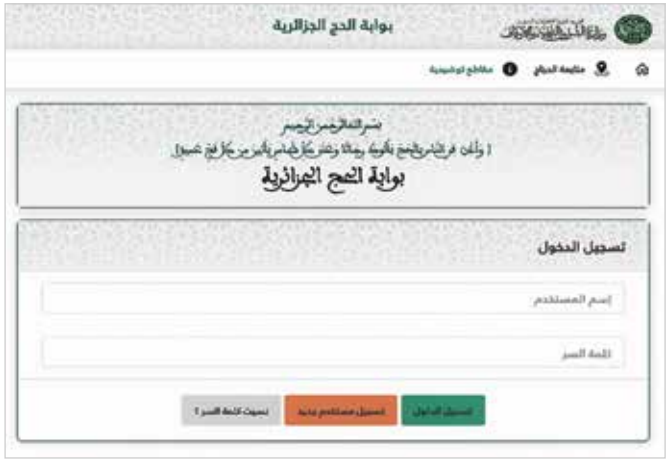


إن الحج إذن منسك وعبادة، ووفاء وولاء وانتماء، ورقي ثقافي وسلوك حضاري..

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف

الديوان الوطني للحج والعمرة

OFFICE NATIONAL DU PELERINAGE ET DE LA OMRA

ضمان خدمتكم شرفٌ
نتقنه بكل مسؤولية

**المديرية العامة**
4/6 شارع محمد الخامس - الجزائر
الهاتف : 75 / 78 12 69 (021)
الفاكس : 70 78 12 (021)

الديوان الوطني للحج والعمرة
OFFICE NATIONAL DU PELERINAGE ET DE LA OMRA

**الفرع**
شارع محمد عليلات ، بجوار مسجد بن باديس /القبة
الهاتف : 87 28 81 / 14 28 82 (021)
Onpo.dg@gmail.com
www.facebook/onpo.alg
www.onpo.dz